مجاهد الدين قايماز (ت: ٥٩٥هـ) سيرتهُ وأعماله

Mujahid al-Din Qaymaz (d. 595 AH) His Biography and Works

م.م. كوثر محمد جاسم

Asst. Lect. Kawthar Muhammad Jassim

كلية التربية – الجامعة العراقية

College of Education / Al-Iraqia University

E-mail: Kouther.m.jasim@aliraqia.edu.iq

الكلمات المفتاحية: مجاهد الدين، قايماز، اربل، الموصل، العراق.

Keywords: Mujahid al-Din, Qaymaz, Erbil, Mosul, Iraq.

الملخص

تناول هذا البحث سيرة الأمير مجاهد الدين قايماز، إحدى الشخصيات البارزة في العراق خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، والذي مثل نموذجا للقائد الإداري والعمراني الذي جمع بين الحزم السياسي والرعاية الاجتماعية، وقد تدرج البحث عبر ثلاثة مباحث رئيسية تناولت مختلف جوانب حياته وأعماله، وأظهر البحث أن الأمير مجاهد الدين قايماز كان من الشخصيات البارزة في تاريخ العراق، إذ مثل نموذجا متفردا للقائد الذي جمع بين الكفاءة السياسية والاهتمام بالجوانب الاجتماعية والعمرانية. فقد استطاع أن ينتقل من ظروفه الأولى البسيطة إلى موقع القيادة والنفوذ، فكان مثالاً للحاكم العادل الذي أولى عناية خاصة بالعلم والعلماء، وأسهم في تعزيز الحياة الدينية والثقافية عبر تأسيس المدارس والخانقاوات.

Abstract

This research examines the biography of Prince Mujahid al-Din Qaymaz, one of the most prominent figures in Iraq during the sixth century AH / twelfth century AD. He represented a model of an administrative and urban leader who combined political decisiveness with social care. The research is divided into three main sections, covering various aspects of his life and works. The research demonstrates that Prince Mujahid al-Din Qaymaz was one of the most prominent figures in Iraqi history, representing a unique example of a leader who combined political competence with a concern for social and urban aspects. He was able to rise from his humble beginnings to a position of leadership and influence. He was an example of a just ruler who paid special attention to knowledge and scholars and contributed to the promotion of religious and cultural life by establishing schools and khanqahs.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصـــلاة والســـلام على ســـيدنا محمد وعلى آله وصـــحبه أجمعين، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين،

وبعد:

فقد شـهدت بلاد العراق وبلاد الجزيرة العربية في القرن السـادس الهجري/ الثاني عشـر الميلادي تحولات سياسية واجتماعية بارزة، كان لها أثر عميق في بنية المجتمع وتطوره العمراني والثقافي، وفي خضـــم تلك المرحلة التاريخية ظهر عدد من القادة والإداريين الذين أســـهموا في تثبيت أركان الحكم وتوجيه حركة العمران والعلم، ومن أبرز هؤلاء الأمير مجاهد الدين قايماز، فقد انتقل من حياة الرق إلى أن يصبح واحدا من الشخصيات البارزة في الموصل واربل، إذ تميز بســـيرة ملؤها الحكمة والعدل، وأعمال عمرانية وخيرية تركت بصـــمتها في التاريخ المحلي، وقد انعكس اهتمامه بالعلم والتربية في إنشاء المدارس والخانقاوات، كما تجلى حسه الإنساني في بناء البيمارستان والجسور والمنشآت العامة التي خدمت عامة الناس إن دراسة سيرته وأعماله تسلط الضـوء على شـخصـية إدارية فريدة جمعت بين الحزم السـياسـي والرعاية الاجتماعية، كما تبرز الدور الذي اضـــطلع به في إغناء الحياة العلمية والعمرانية في العراق خلال فترة حســـاســـة من تاريخه.

تضمن البحث الحالي مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة فيها اهم النتائج والاستنتاجات.

شمل المبحث الأول: سيرته ونشأته، وتضمن: أولاً: أسمه وأصله ونسبه، وثانياً: نشأته، وثالثاً: سيرته السياسية، ورابعاً: وصف العلماء له.

اما المبحث الثاني: اعماله العسـكرية والإدارية، فتضـمن: أولاً: الهيكل العسـكري، ثانياً: الإدارة المالية والتحصيل، وثالثا: الأمن الحضري وتنظيم المدينة.

والمبحث الثالث: أعماله في الجانب العمراني، شمل: اولاً: المدارس والمراكز العلمية، ثانياً: الربط والخانقاهات، وثالثاً: البساتين والبرك، ورابعاً: المؤسسات الصحية، وخامساً: الجوامع والحصون الدينية، سادساً: الطرق والجسور، وسابعاً: الأسواق، ووفاته.

المبحث الأول: سيرته ونشأته

أولاً: أسمه وأصله ونسبه:

أبو منصـــور قايماز بن عبد الله الزيني (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٢/٤)، الملقب مجاهد الدين الخادم (ابن المســـتوفي، ١٩٨٠م، ٦١/٢ ؛ ابن تغري بردي، د.ت، ١٤٤/٦)، كان عتيق

زين الدين أبي سعيد علي بن بكتكين[١] والد الملك المعظم مظفر الدين[٢] صاحب إربل (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٢/٤)، وهو من أهل سجستان (Sistan)[٣].

ثانياً: نشأته:

ظهرت مخايل النجابة فيه منذ الصغر فأخذه زين الدين على بن بكتكين ومن بلده صغيراً (طليمات، ١٩٦٣م، ص١٥) وزين الدين هو احد مماليك قسيم الدولة والد عماد الدين زنكي ومؤسس الاتابكية في الموصل والذي اصبح نائباً للاتابكية في الموصل ولما شب قايماز عن الطوق قدمه زين الدين على اقرانه وجعله اتابكاً لأولاده في اربل، ومنحه ثقة تامة منذ عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٢/٤ ؛ ابن واصل، ١٩٥٧م، ٤٧/٢).

وظل مجاهد الدين قايماز يقوم بما عهد اليه من مهام خير قيام واستطاع بادارته الحكيمة ان يكسب ود الجماهير الاربلية نائباً عن زين الدين الذي كان يشغل نيابة الحكم في الموصل الزنكية، ولما توفي زين الدين على كوجك عام ٥٦٣ هـ/١١٦٨م اصبحت اربل وتوابعها امانة في عنق مجاهد الدين (ابن الاثير، ١٩٩٧م، ٥٦/١٢ ؛ ابن المستوفي، ١٩٨٠، ٢٥/٢).

ثالثاً: سيرته السياسية:

برز مجاهد الدين قايماز في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، إذ كان من المماليك الذين اتصلوا بخدمة البيت الزنكي، ثم صعد تدريجياً في مراتب الجندية والإدارة حتى صار من أبرز قادة الموصل في تلك الحقبة، وقد تميز مساره السياسي بالتدرج الجلي بين خدمة البلاط، وتولي المناصب العسكرية، ثم التحول إلى مهام الحكم المحلي التي أعطته سلطة فعلية في الموصل وجزيرة ابن عمر.

---

(١) زين الدّين صاحب إربل علي كوجك بن بكتكين التركماني الفارس المشهور، والبطل المذكور، ولقّب بكوجك وهو بالعربي اللطيف القدّ والقصير، وكان مع ذلك معروفا بالقوّة المفرطة والشهامة، وهو ممن حاصر المقتفي وخرج عليه، ثم حسنت طاعته، وكان جوادا معطاء، فيه عدل وحسن سيرة. ويقال: إنه تجاوز المائة، وتوفي في ذي الحجّة. (ابن العماد، ١٩٨٦م، ٣٤٧/٦).

(٢) مظفر الدين: أبو سعيد كوكبوري بن عليّ بن بكتكين بن محمد، السّلطان الملك المعظّم، مظفّر الدين. (الذهبي، ١٩٩٣م، ٤٠٢/٤٥).

(٣) سجستان: مدينة كبيرة اسمها في القدم رام شهرستان ثم حمل الاسم اقليم واسع به عدة مدن، ويمتاز بالخصب واليسار واهم مدنه زالق كركويه هبسوم، زرنج ويست. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥م، ١٩١/٣-١٩٠ ؛ ابن حوقل، ١٩٣٨م، ص٣٤٧ ؛ ابن الأثير، ١٩٩٧م، ٥٥/١٢-٥٦). يقول ان اصله من قرادي احدى مدن سجستان.

ظهر قايماز لأول مرة خلال فترة حكم نور الدين محمود بن زنكي[٤] الذي توفي عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م، إذ كان من أبرز شخصياته ومن المماليك الرئيسيين الذين اعتمد عليهم لتقوية سلطته في الشام والجزيرة تشير السجلات التاريخية إلى أنه شارك في الحملات العسكرية التي قادها نور الدين ضد الصليبيين، بالإضافة إلى مرافقتهم في بعض الغزوات في الجزيرة، وتلك التجربة منحت قايماز خبرة عسكرية كبيرة وعلاقات متينة ضمن النظام الزنكي (ابن الأثير، ١٩٩٧م، ٢٢٣/١١) ، بعد وفاة نور الدين وتقسيم حكمه بين الموصل وحلب ودمشق، تمكن قايماز من تعزيز مكانته في جناح الموصل تحت قيادته سيف الدين غازي الثاني[٥] الذي توفي عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م، إذ أصبح أحد الأفراد الموثوق بهم في تنظيم الأمور العسكرية وإدارة بعض القلاع (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ١٤٥/٨).

عندما أصبح عز الدين مسعود[٦] (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) حاكم الموصل، زادت مكانة قايماز بشكل كبير، وتم تكليفه بمسؤوليات أكبر في مجال الإدارة والعسكرية، كذلك تولى إمارة الموصل كبديل عن السلطان في أكثر من مناسبة (ابن خلكان، ١٩٧١م، ١٦٣/٤)، وتظهر الروايات أنه كان صارماً في تنظيم الجيش وكان مهتماً بتمويلهم من موارد الأراضي، مما أدى إلى زيادة نفوذه تدريجياً حتى صار من الشخصيات الكبيرة في الدولة، وارتبط اسمه أيضاً بتنظيم الأسواق وجمع الأموال، مما يوضح تحوله من قائد عسكري إلى شخصية مؤثرة في شؤون الحكم المحلي (الذهبي، ١٩٩٣م، ص٨٧).

مع بداية العقد الأخير من القرن السادس الهجري، أصبح قايماز الشخصية الأساسية في مدينة الموصل، متفوقا حتى على السلطان تولى إدارة المدينة خلال الأوقات الصعبة، خاصة عندما كان بعض الأمراء ضعافا أو مشغولين بحملات خارجية، وقد ذكرت المصادر أنه كان يتمتع بحكمة وذكاء وأشارت إلى امتلاكه للشجاعة في المعارك والقدرة على إدارة الأمور السياسية، لذلك، استمر تأثيره رغم تغير بعض الحكام في الأسرة الزنكية، مما يبين استقرار مكانته في النخبة الحاكمة (ابن الفوطي، ١٩٣٢، ص٦٥).

---

(٤) الملك العادل نور الدين أرسلان شاه ابن عز الدين مسعود بن مودود ابن الأتابك زنكي، كانت دولته ثماني عشرة سنة، وكان شهما، مهيبا، فيه عسف وشح. تحول شافعيا، وبنى مدرسة كبيرة مزخرفة، مرض مدة، ومات في رجب، سنة سبع وست مائة، وكان سفاكا للدماء، فيه دهاء، وله سطوة على الأمراء، وكان مجد الدين ابن الأثير ملازما له، فيأمره بالخير، فيطيعه، وصير مملوكه لؤلؤا أستاذ داره. (الذهبي، ١٩٨٥م، ٥٠/١٦).

(٥) سيف الدين غازي بن زنكي، تملك الموصل بعد أبيه، واعتقل ألب آرسلان السلجوقي. (الذهبي، ١٩٩٣م، ١٩٢/٢٠).

(٦) الملك عز الدّين مسعود بن قطب الدّين مودود بن أتابك زنكي. (ابن العماد، ١٩٨٦م، ٣٥٩/٧).

كما مثل دوراً مهما في السياسة الخارجية، إذ شارك في المفاوضات مع الأيوبيين بعد أن استولى صلاح الدين على الأملاك في مصر والشام وكان من المقربين الذين دعموا استراتيجية التوازن مع الأيوبيين للحفاظ على استقلال الموصل إلى حد ما، وبعض الروايات توضح أنه اتخذ مواقف مرنة تجاه صلاح الدين، ساعيا إلى تحقيق توازن بين المصالح الزنكية والتهديدات الخارجية، خاصة من الصليبيين (النويري، ١٤٢٣هـ، ٢٠١/٢٦).

وعلى المستوى المحلي، امتد نفوذ قايماز ليجعله يملك سلطة تسير نحو الاستقلال شبه التام في الموصل والمناطق المجاورة لها في بلاد الجزيرة، تشير الأخبار حمل لقب الأمير الكبير والمجاهد، مما يدل على مكانته المرموقة في البلاط هذه المكانة ساعدته على البدء في مشروعات عمرانية وإدارية هامة كإنشاء المدارس والمرافق وتنظيم الأسواق (ابن شداد، ١٩٥٣م، ص١٥٢).

واصل نفوذه حتى وفاته في عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م، تاركاً أثراً عميقا في الحياة السياسية والعمرانية في الموصل، ولم تقتصر أهميته على قيادة الجيش، بل تعدته ليكون واحدا من أبرز الشخصيات في دعم التطور الحضري خلال فترة الدولة الزنكية (الذهبي، ١٩٩٣م، ٥٩/٢١).

رابعاً: وصف العلماء له:

لا شك أن شخصية الفرد هي التي تحدد انجازاته الى حد كبير فان كانت شخصية خيرة محبة للعمران متفتحة للحياة على شيء من الدربة السياسية تستطيع ان تنجز انجازات حضارية كثيرة، ومن هذا النوع من الرجال كان مجاهد الدين قايماز نائب الموصل فقد ذكرت المصادر المتوفرة انه كان شخصية تتمتع بقدر كبير من التفتح السياسي وحب الخير والرغبة في اسعاد المجتمع فابن الأثير يصفه بأنه كان عاقلاً ديناً خيراً فاضلاً يعلم الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه (ابن الأثير، ١٩٩٧م، ٤٣٤/١١) ، وابن الساعي يشير الى انه كان عاقلاً ديناً خيراً فاضلاً يعرف شيئاً من الفقه الشافعي ويحفظ من الشواهد والاشعار والحكايات شيئاً كثيراً، وكان كثير الصوم (ابن الساعي، ١٩٣٤م، ٨/٩)، بينما يذكر ابن كثير بأنه كان ديناً خيراً على مذهب الحنفية كثير الصيام والقيام في الليل يذاكر في الأدب والاشعار والفقه (ابن كثير، ١٣٥٨هـ، ٢٩٦/١٢).

وذكر ابن خلكان بانه كان كثير الخير والصلاح بني عدة ابنية في اربل والموصل وغيرها وله شيء كثير من وجوه البر ومدحه الشعراء (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٢/٤-٨٣). وابن واصل اشار الى انه كان ديناً عادلاً وهو الذي ينسب اليه الجامع المجاهدي بظاهر الموصل (ابن واصل، ١٩٥٧م، ١٠٣/٣). وصاحب النجوم الزاهرة اشار الى انه اشتهر بالدين والصلاح

والتعبد والكرم ويطري بما يتصـــدق به يومياً غير ما التزم بدفعه من الرواتب للعباد (ابن تغري بردي، د.ت، ١٤٤/٦).

ولا ينسى ابن المستوفى ان يشير الى انه كان دينا صالحاً كريماً كثير الصدقات ولم يدع بالموصل بيتاً فقيراً الا اغناه بما قدمه له من أموال وعطايا (ابن المستوفي، ١٩٨٠، ٢٤/٢).

ومن خلال هذه الأقوال يبرز لنا اجماعها لاسيما المعاصرة منها على ان قايماز كان من الشـخصـيات الفذة المحبة للخير واقامة العدل وهذا يقتضـي ان يكون من رجال العلم والعمران لتخليد ذكراه . لذا قام بعدة اعمال خلدت ذكره للآن. ولم يقتصر على الأعمال العمرانية وحدها بل شـجع الحركة العلمية واتجه الى النواحي الاجتماعية وشـؤون الحكم والسـياسـة وغيرها واقام عدة مبان داخل الموصـــل وخارجها خلدت ذكره وبقيت للآن تشـــهد له بالمركز المرموق والســـمعة الطبيبة.

المبحث الثاني: أعماله العسكرية والادارية

تميزت فترة مجاهد الدين قايماز في الموصـــل والجزيرة بمهارته في الدمج بين المهام العسـكرية والإدارية، وهو ما سـاعده على تعزيز حكمه وزيادة نفوذه. بدأ كقائد مملوك في الجيش الزنكي قبل أن يتحول إلى أمير يقوم بتنظيم الجنود إدارة الموارد، وضـــمان الأمن في المدينـة. كانت هذه الأدوار أسـاسـية في مشـاريعه في البنية التحتية والاجتماعية التي ارتبطت بالحاجات للأمن والاستقرار.

أولاً: الهيكل العسكري

أولى قايماز أهمية كبيرة للجيش لأنه كان الوسـيلة الرئيسـية للدفاع عن الموصـل ضـد التهديدات الخارجية، سـواء من الفرنجة في الشـام أو من توسـعات الأيوبيين نحو الجنوب، قام بتشـكيل الجيش وفق نظام الإقطاعات العسـكرية، إذ وزع الأراضـي الزراعية على قادة الجيش مقابل التزامهم بالخدمة العسكرية ساعد هذا التنظيم في ضمان ولاء الجنود وتأمين تمويل مستمر لهم (ابن الأثير، ١٩٩٧م، ٢٤٥/١١). كما أنه كان يقوم بجولات دورية على المعسكرات وأشرف بنفسـه على التدريبات، مما أسـهم في اكتسـاب احترام الجنود ومكانة قوية في الجيش (سـبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ١٦٦/٨).

تظهر المصادر أن قايماز لم يكتف بإدارة الجيش من الناحية الإدارية والمالية، بل شارك أيضا في بعض الحملات العسكرية، وأبدى شجاعةً ضد خصوم الزنكيين. وذكرت بعض الروايات أنه كان يتصدر الصفوف في المعارك الكبرى، مما أكسب لقبه "المجاهد" طابعا عمليا بعيدا عن كونه لقبا رسميا (الذهبي، ١٩٩٣، ص٩١).

ثانياً: الإدارة المالية والتحصيل

ارتبط تنظيم الجيش بسياسة قايماز المالية، إذ حرص على تنظيم الموارد المالية للدولة وتوزيعها لضمان استدامة تمويل الجيش. اعتمد في ذلك على جمع الضرائب من الأراضي الزراعية المحيطة بالموصل، كذلك نظم شؤون الأسواق، وحدد أسعار بعض السلع الأساسية لمنع المضاربة(٧). وأخبرت الأخبار أنه كان صارما في تحصيل الضرائب، لكنه لم يتساهل مع تجاوزات موظفيه، إذ عاقب بعض العمال المتورطين في الفساد (ابن خلكان، ١٩٧١م، ١٦٥/٤).

كما استخدم قايماز نظام الأوقاف لدعم المدارس والربط، مما خفف الضغط على بيت المال وضمان استمرار الموارد اللازمة لتشغيل هذه المؤسسات. وتظهر السجلات أن جزءا من عوائد الأسواق والخانات كان يوجه لصالح الجنود أو الصيانة المنشآت العامة، مما يبرز ترابط الإدارة المالية مع الرعاية الحضرية (ابن شداد، ١٩٥٣م، ص١٦٠).

ثالثا: الأمن الحضري وتنظيم المدينة

لم تقتصر مهام قايماز على الشؤون العسكرية والمالية، بل شملت أيضا جوانب الأمن داخل الموصل ركز على تنظيم الحسبة، إذ عين محتسبين لمراقبة الأسواق ومنع الغش في المواد الغذائية والأدوية، وضبط المقاييس والمكاييل. وذكرت الروايات أنه كان يتابع تقارير المحتسبين بدقة ويعاقب المخالفين عليا للردع (النويري، ١٤٢٣هـ، ٢١٤/٢٦) .

كما عمل على تعزيز البنية الدفاعية للمدينة، فأمر بصيانة الأسوار والأبراج وإصلاح بعض القلاع المحيطة بالموصل مثل قلعة نصيبين (Nusaybin) وسنجار (Sinjar) لتكون خطوط دفاع ضد أي هجمات مفاجئة. وهذا يدل على مهمه لأهمية التحصينات في الحفاظ على الاستقرار الداخلي، خصوصا مع التهديدات من الفرنجة والأيوبيين معا (ابن الفوطي، ١٩٣٢م، ص٦٩).

المبحث الثالث: أعماله في الجانب العمراني

اولاً: المدارس والمراكز العلمية:

بعد ان تسلم قايماز شؤون الحكم في اربل نائباً عن زين الدين علي كوجك في ٥ رمضان عام ٥٥٩هـ، أخذ يسعى الى اقامة العدل ونشر الأمن واقامة المنشآت العمرانية فبنى مدرسة في اربل عرفت بالمدرسة المجاهدية (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٢/٤ ؛ حسين، ٢٠١٤م، ص٢٤٩ ؛ الديوه جي، سعيد ، ١٩٥٨م، ص١٣١ ؛ الديوه جي، ١٩٦٣، ص٥٦)، اوقف عليها الاوقاف

(٧) المُضَارَبَة في اللغة هي المُخاطَرَة في البيع والشراء طلبًا للربح، وتُطلق على شراء السلع انتظارًا لارتفاع أسعارها لبيعها بربح. (ابن منظور، د.ت، ١٧٦/٧).

الكثيرة ليضمن استمرارها في اداء رسالتها العلمية على الوجه الأكمل. واشهر من مارس عملية التعليم فيها الفقيه عمر بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان الاربلي المتوفى عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م ١٢١٣م (الأسنوي، ٢٠٠٢م، ٤٩٥/١).

كما انشأ بعض المدارس الأخرى في الجزيرة، مثل مدرسة في نصيبين وأخرى في سنجار، نُسبت إليه، لكن المصادر لم تتفق على توثيق تلك المعلومات، ويبدو أن قايماز حاول من خلال هذه المدارس تعزيز المذهب الشافعي، بما يتناسب مع الاتجاه السائد في البيت الزنكي، وأيضاً تعكس رغبته في الحصول على شرعية دينية لحكمه (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ١٧٢/٨).

ثانياً: الربط والخانقاهات:

أولى قايماز أهمية للربط (التكايا والزوايا الصوفية) والخانقاهات، فقد اقام خانقاه للصوفية واهل العلم ووظف عليها الاوقاف الكثيرة مثل الأسواق والقرى المحيطة بالمدينة، واصبحت هذه تقوم بممارسة التعليم شأنها شأن المدارس بالاضافة الى ما تقدمه من خدمات اجتماعية كغيرها من المؤسسات الإنسانية (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٢/٤ ؛ ابن المستوفي، ١٩٨٠، ص١٩١)، كما عمل على ترميم بعض الربط القديمة التي تعود إلى عهد أسلافه الزنكيين (الذهبي، ١٩٩٣، ص٩٧).

ثالثاً: البساتين والبرك:

أقام بركة في وسط أربل وزرع حولها البساتين والمزروعات الكثيرة فأصبحت نجمة ساطعة وسط بساط محملي اخضر. وقد ألهب منظرها عواطف الشعراء فصاغوا اشعاراً في وصفها تمتاز بالرقة وحسن الأداء. ومن هؤلاء الشعراء أبو حفص عمر بن شماس الخزرجي المتوفى في حدود عام ٦٠٠هـ ١٢٠٣ – ١٢٠٤م الذي ترجم مشاعره شعراً رقيقاً نقتطف منه (ابن المستوفي، ١٩٨٠م، ٩٥/١-٩٧) :

ونيلوفر مثل النجوم ببركة ... كلون السماء وهي من خصر عذب
يميل مع الشمس المنيرة مثلم ... تميل عيون العاشقين مع الحب لها
فان هي غابت نكس الرأس وجمة ... لها وانكسارا فعلة الدنف الصب
ولو كان يدري انه غرس مالك ... تدين له الاملاك في الشرق والغرب
لمال اليه إذهو الشمس في الدنا ... ولم يخش من قصم ولم يخش من قضب
فتى غادر البستان باريل ... وكانت قديماً معطش الايم والضب

رابعاً: المؤسسات الصحية

لما انتقل قايماز الى الموصل عام ٥٧١ هـ ١١٧٥-١١٧٦م، وتولى نيابتها وتمكن من الأمور بدأ يعمل على تخليد ذكراه وانصرف الى اقامة المباني العمرانية وانشأ مجمعاً عمرانياً ضخماً في المدينة يعتبر مفخرة لقايماز ودليلاً على حبه للعمران والعلم والعلماء واشادة برعايته للمجتمع، وعلى العموم بدأ قايماز يعمل على توجيه الانظار اليه فقام بإنشاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية والرعاية الصحية والخدمة العلمية. وترك آثاراً جليلة تشهد بعظمته وعلو كعبه وسماحة شخصيته، ثم أوجد مؤسسة الرعاية الايتام إذ تسجل اسماءهم وتشرف عليهم وتقدم لهم الدعم والعون والرعاية الكاملة، وبذلك تسهم في ازالة آثار البؤس والشقاء وهم اليتم وتأخذ بأيديهم في مضمار التقدم الى الامام (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٣/٤).

خامساً: الجوامع والحصون الدينية

حرص مجاهد الدين قايماز على بناء عدد من المساجد الصغيرة داخل أحياء الموصل، فضلاً عن توسيع بعض المساجد الجامعة، وتشير المصادر إلى أنّه قام بترميم أجزاء من الجامع الكبير في الموصل، ووقف أوقافاً لصيانته وتزويده بالزيت للإنارة (ابن خلكان، ١٩٧١م، ١٦٨/٤)، كما ارتبطت عمارته بالتحصينات ذات الطابع الديني، إذ دعم بناء أبواب وأسوار قريبة من المساجد لحماية الأحياء الداخلية. ويكشف هذا التداخل بين الديني والدفاعي عن فهمه الخاص للعمران باعتباره أداة لحماية الدين والمدينة معاً (ابن الأثير، ١٩٦٣م، ص١٧٧ ؛ ابن المستوفي، ١٩٨٠، ٢/ ٢٤ ؛ المنذري، ١٩٦٩م، ١٥٨/٢ ؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ٣٣٨/٨ ؛ ابو شامة، ٢٠٠٢م، ١٤/١ ؛ ابن الساعي، ٨/٩ ؛ ابن جبير، د.ت، ص٢١٠).

سادساً: الطرق والجسور:

لم يكتف قايماز بهذه المؤسسات بل التفت الى غيرها فاهتم بشق الطرق واقامة الجسور واهمها الجسر المقام على شط الموصل ودجلة الأمر الذي شجع حركة التنقل والمواصلات بين الموصل واعمالها شرق دجلة، كما جلب الراحة للمواطنين مما ألهج السنتهم بالثناء على قايماز ونعتوه بأفضل الأوصاف واكرمها (الموصلي، ١٩٢٧م، ص٨ ؛ ابن خلكان، ١٩٧١م، ٨٣/٤).

سابعاً: الأسواق

لم ينسَ قايماز أن ينشئ اسواقاً للبيع والشراء فأقام قيسارية في سوق الموصل للتجارة. وقد وصفها ابن جبير اثناء زيارته للموصل اصدق وصف واجمله فقال وكأنها الخان العظيم تنغلق عليها الأبواب الحديد وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض قد جلى ذلك كله في اعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له. فما أرى في البلاد قيسارية تعدلها (ابن جبير، د.ت، ص٢١٠).

وفاته:

انتقل مجاهد الدين قايماز في ربيع اول عام ٥٩٥هـ/١١٩٩م الى جواره ربه بقلعة الموصل وقيل كان ذلك عام ٥٩٤هـ، بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال (ابن الأثير، ١٩٦٣م، ص١٩٣ ؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ٤٥٨/٨ ؛ ابن تغري بردي، د.ت، ١٤٤/٦ ؛ داود جلبي، ١٩٢٧م، ص٧).

ونحن نميل الى تصديق الروايات القائلة بوفاته عام ٥٩٥هـ لأن من قال بها من المعاصرين للاحداث أكثر التصاقاً بها ممن يقولون غير ذلك ثم أن ابن الأثير نفسه يورد روايتين لموته عام ٥٩٤هـ/٥٩٥هـ دون أن يجزم.

وقيل في رواية موته أنه مات في قلعة الموصل وكان بها مسجوناً من قبل نور الدين ارسلان شاه (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ٤٥٨/٨)[٨] وهذا الكلام لا يتفق مع سير الأحداث ، فالمعاصرون من المؤرخين ذكروا ان علاقته كانت حسنة بنور الدين ارسلان شاه وانه توفي وفاة عادية في قلعة الموصل وهم بدورهم لا ينكرون الحقيقة لأنه لا مصلحة لهم في هذا فابن الأثير ذكر اخبار قايماز بمنتهى الدقة شأنه شأن غيره ولم يتعصب له ولا عليه ما يجعلنا نثق برواياته وان هذه المصادر تؤكد في ما ذكرته أن قايماز سجن ايام عز الدين مسعود لا زمن ولده نور الدين ارسلان شاه كما ذكرنا سابقاً، ومهما قيل فان وفاة قايماز جاءت منهية فصلا رائعاً بل اروع فصول نيابة الحكم الأتابكي في الموصل واربل (ابن الأثير، ١٩٦٣م، ص١٩٣ ؛ ابن الأثير، ١٩٩٧م، ١٥٣/١٢).

الخاتمة:

تم التوصل الى عدد من النتائج كان أهمها الاتي:

١. اتسمت السيرة السياسية لمجاهد الدين قايماز بالتدرج من جندي مملوك إلى أمير بارز، وأنّ استمراره في السلطة عبر عهود متعددة يعكس قدرته على التكيف مع التحولات السياسية،

(٨) يقول: ان قايماز توفي مسجوناً في قلعة الموصل لأن نور الدين سجنه وضيق عليه وآذاه فتوفي في السجن واخرج ملفوفاً في كساء، فلما وصل الى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن فأبقي على قارعة الطريق حتى أذن له، وهذا لا يتفق مع الروايات المعاصرة كابن الأثير وابن خلكان وابن الساعي، وابن واصل، وقد شارك سبط ابن الجوزي، ابن تغري بردى صاحب النجوم الزاهرة، ١٤٤/٦، والظاهر ان هناك رواية تقول بموته مسجوناً عام ٥٩٤ هـ في قلعة الموصل واخرى تقول توفي طبيعيا في قلعة الموصل عام ٥٩٥هـ، ونحن نميل الى تصديق الرواية الثانية لأن مجمل الاحداث يتفق معها ومن قال بها اكثر دقة وثقة خاصة وان المشهور ان قايماز اعتقل في عهده عز الدين مسعود لا زمن ولده ارسلان شاه ويخالف هذا ابن المستوفى في تاريخه اربل، ٢٤/٢. عندما يقول مات مسجوناً في قلعة الموصل عام ٥٩٥ هـ لا عام ٥٩٤هـ.

كما أظهر أنّ نفوذه تجاوز البعد العسكري إلى ممارسة دور واسع في الحكم المحلي والدبلوماسية، مما هيأ الأرضية لأعماله العمرانية والإدارية التي شكّلت أهم إرث له في تاريخ الموصل والجزيرة.

٢. تميز مجاهد الدين قايماز بقدرة فريدة على الدمج بين مهام القائد العسكري ورجل الدولة الإداري، فقد أدار الجيش بكفاءة عبر نظام الإقطاعات، وضبط الموارد المالية والجباية بدقة، كما عمل على تعزيز الأمن الحضري من خلال الحسبة والتحصينات، وقد أسهمت هذه السياسات في إرساء بيئة مستقرة سمحت بازدهار العمران، وهو ما جعله من أبرز نماذج الأمراء الذين جمعوا بين السيف والقلم في العصر الزنكي.

٣. مثلت الرعاية العمرانية لمجاهد الدين قايماز امتداداً لسلطته العسكرية والإدارية، إذ جسدت رؤية تقوم على الجمع بين خدمة الدين والتعليم والاقتصاد والدفاع. فقد أسس مدارس دعمت مكانة الموصل العلمية، وأنشأ رباطات وخانات عززت الأمن الاجتماعي والتجاري، وأقام جسوراً ومساجد أسهمت في استقرار الحياة الحضرية. وبذلك ظهر قايماز بوصفه أميراً راعياً للعمران، جسّد نموذج الرعاية الحضرية الزنكية التي جمعت بين الأبعاد الدينية والاقتصادية والسياسية.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (١٩٩٧م). الكامل في التاريخ. ط١. دار الكتاب العربي، (بيروت).

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (١٩٦٣م). التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، دار الكتب الحديثة. (القاهرة).

ابن الساعي، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب. (١٩٣٤م). الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير. المطبعة السريانية الكاثوليكية. (بغداد).

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي. (١٩٨٦م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ط١. دار ابن كثير. (دمشق).

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني. (١٩٣٢). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة. المجمع العلمي العراقي. (بغداد).

ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي. (١٩٨٠م). تاريخ إربل. دار الرشيد للنشر. (العراق).

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن. (د. ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. دار الكتب. (مصر).

ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي. (د.ت). رحلة ابن جبير، دار صادر. (بيروت).

ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي أبو القاسم. (١٩٣٨م). صورة الأرض. دار صادر. (بيروت).
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي. (١٩٧١م). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. ط١. دار صادر. (بيروت).
ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي. (١٩٥٣م). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. المعهد الفرنسي. (دمشق).
ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (١٣٥٨هـ). البداية والنهاية. ط١. مطبعة السعادة. (القاهرة).
ابن واصل، محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين. (١٩٥٧م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. دار الكتب والوثائق القومية. المطبعة الأميرية. (القاهرة).
ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي. (٢٠٠٢م). تراجم رجال القرنين السادس والسابع. دار الكتب العلمية. (بيروت).
الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين. (٢٠٠٢م). طبقات الشافعية. ط١. وزارة الأوقاف. (بغداد).
حسين، محسن محمد. (٢٠١٤م). اربل في العهد الاتابكي، ط١. مكتب التفسير. (العراق).
الديوه جي، سعيد. (١٩٥٨م). الموصل في العهد الاتابكي. مطبعة شفيق. (بغداد).
الديوه جي، سعيد. (١٩٦٣). جوامع الموصل في مختلف العصور. ط١. مطبعة شفيق. (بغداد).
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. (١٩٨٥م). أعلام النبلاء. ط٣. مؤسسة الرسالة. (بيروت).
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. (١٩٩٣م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ط٢. دار الكتاب العربي. (بيروت).
سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله. (٢٠١٣م). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. ط١. دار الرسالة العالمية. (دمشق).
طليمات، عبد القادر. (١٩٦٣م). مظفر الدين كوكبوري. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. (القاهرة).
المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. (١٩٦٩م). التكملة لوفيات النقلة. مطبعة الآداب. (النجف).
ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
الموصلي، داود الجلبي. (١٩٢٧م). مخطوطات الموصل. مطبعة الفرات. (بغداد).
النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري. (١٤٢٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب. ط١. دار الكتب والوثائق القومية. (القاهرة).
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (١٩٩٥م). معجم البلدان. ط٢. دار صادر. (بيروت).

List of sources and references:

Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karm Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybani al-Jazari. (1997). The Complete History. 1st ed. Dar al-Kitab al-Arabi, (Beirut).

Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karm Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybani al-Jazari. (1963). The Magnificent History of the Atabeg State in Mosul. Dar al-Kutub al-Hadithah. (Cairo).

Ibn al-Sa'i, Ali ibn Anjab ibn Uthman ibn Abd Allah Abu Talib. (1934). The Concise Compendium on the Title of Histories and the Sources of Biographies. Syriac Catholic Press. (Baghdad).

Ibn al-Imad, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad ibn al-Imad al-Akri al-Hanbali. (1986). Nuggets of Gold in the News of Those Who Have Passed Away. 1st ed. Dar Ibn Kathir. (Damascus).

Ibn al-Futi, Kamal al-Din Abu al-Fadl Abd al-Razzaq ibn Ahmad ibn Muhammad al-Sabuni. (1932). Comprehensive Incidents and Beneficial Experiences in the Seventh Century. The Iraqi Scientific Academy. (Baghdad).

Ibn al-Mustawfi, al-Mubarak ibn Ahmad ibn al-Mubarak ibn Muhub al-Lakhmi al-Irbili. (1980). History of Irbil. Dar al-Rashid Publishing House. (Iraq).

Ibn Taghri Bardi, Yusuf ibn Taghri Bardi ibn Abdullah al-Zahiri al-Hanafi Abu al-Mahasin. (n.d.). The Shining Stars of the Kings of Egypt and Cairo. Dar al-Kutub. (Egypt).

Ibn Jubayr, Muhammad ibn Ahmad ibn Jubayr al-Kinani al-Andalusi. (n.d.). The Journey of Ibn Jubayr. Dar Sadir. (Beirut).

Ibn Hawqal, Muhammad ibn Hawqal al-Baghdadi al-Mawsili Abu al-Qasim. (1938). The Image of the Earth. Dar Sadir. (Beirut).

Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr ibn Khallikan al-Barmaki al-Irbili. (1971). Deaths of Notables and News of the Sons of the Age. 1st ed. Dar Sadir. (Beirut).

Ibn Shaddad, Izz al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ali ibn Ibrahim al-Ansari al-Halabi. (1953). Dangerous Comments on the Princes of the Levant and the Jazira. French Institute. (Damascus).

Ibn Kathir, Imad al-Din Abu al-Fida Ismail ibn Umar al-Qurashi al-Dimashqi. (1358 AH). The Beginning and the End. 1st ed. Al-Sa'ada Press. (Cairo).

Ibn Wasil, Muhammad ibn Salim ibn Nasrallah ibn Salim ibn Wasil, Abu Abdullah al-Mazini al-Tamimi al-Hamawi, Jamal al-Din. (1957). The Reliever of Sorrows in the News of the Ayyubids. National Library and Archives. Amiriya Press. (Cairo).

Abu Shama, Shihab al-Din Abd al-Rahman ibn Ismail ibn Ibrahim ibn Uthman al-Maqdisi al-Dimashqi al-Shafi'i. (2002). Biographies of the Men of the Sixth and

Seventh Centuries. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. (Beirut).

Al-Asnawi, Abd al-Rahim ibn al-Hasan ibn Ali al-Asnawi al-Shafi'i, Abu Muhammad, Jamal al-Din. (2002). Classes of the Shafi'is. 1st ed. Ministry of Endowments. (Baghdad).

Hussein, Mohsen Mohammed. (2014). Erbil in the Atabeg Era, 1st ed. Office of Interpretation. (Iraq).

Al-Diwaji, Saeed. (1958). Mosul in the Atabeg Era. Shafiq Press. (Baghdad).

Al-Diwaji, Saeed. (1963). Mosques of Mosul in Different Eras. 1st ed. Shafiq Press. (Baghdad).

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz al-Dhahabi. (1985). Noble Figures. 3rd ed. Al-Risala Foundation. (Beirut).

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz al-Dhahabi. (1993). History of Islam and the Deaths of Famous Figures and Notable Figures. 2nd ed. Dar al-Kitab al-Arabi. (Beirut).

Sabt Ibn al-Jawzi, Shams al-Din Abu al-Muzaffar Yusuf ibn Qiz Ughli ibn Abdullah. (2013). Mirat al-Zaman fi Tawarikh al-A'yan. 1st ed. Dar al-Risala al-Alamiyya. (Damascus).

Talimat, Abdul Qadir. (1963). Muzaffar al-Din Kukburi. Ministry of Culture and National Guidance. (Cairo).

Al-Mundhiri, Zaki al-Din Abu Muhammad Abdul Azim bin Abdul Qawi al-Mundhiri. (1969). The Supplement to the Deaths of the Transmitters. Al-Adab Press. (Najaf).

Ibn Manzur, Lisan al-Arab, edited by Abdullah Ali al-Kabir et al., Dar al-Ma'arif, Cairo.

Al-Mawsili, Dawud al-Jalabi. (1927). Mosul Manuscripts. Al-Furat Press. (Baghdad).

Al-Nuwayri, Ahmad bin Abdul Wahhab bin Muhammad bin Abdul Daim Al-Qurashi Al-Taymi Al-Bakri, Shihab al-Din Al-Nuwayri. (1423 AH). Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab. 1st ed. National Library and Archives. (Cairo).

Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Rumi al-Hamawi. (1995). Dictionary of Countries. 2nd ed. Dar Sadir. (Beirut).